ان الغرض من هذا البحث هو رسم صورة لرد الفعل الصهيوني الذي رافق هذا المد الاعلامي الفلسطيني وتحديد بعض ملامحه وخطوطه العامة علما بان الامثلة التي اخترناها من الاعلام الصهيوني تمثل نزعات مختلفة — رسمية وغير رسمية — قد لا ترتبط بجهاز اعلامي صهيوني مركزي ولكنها موحدة الهدف في التزامها الصهيوني ، يمينا كانت أم يسارا ، معارضة للحكومة الاسرائيلية ام موالية لها . فالاعلام الصهيوني يحمل في اطاره كثيرا من التناقضات الداخلية ولكن جميع فروعه ونزعاته — مهما تباهت في استقلاليتها ومهما « تطاولت » في انتقادها للفروع الاخرى — تصب في النهاية في مجرى واحد . فاليمين واليسار والوسط الصهيوني يدرك كيف ومتى يتوجب «الافتراق» لكسب تأييد قطاعات معينة من الرأي العام الغربي تشاطره منحاه الايديولوجي وكيف ومتى يتوجب في النهاية « الالتقاء » لكي ينعم الجميع كجسم صهيوني واحد بتلك المكاسب . وكما سنرى فان « وظيفة » مكافحة نشاط المقاومة الفلسطينية الاعلامي حلت بالدرجة الاولى من « نصيب » الجناح اليساري في الحركة الصهيونية لكون ذلك النشاط قد اثر اكثر ما اثر في صفوف اليسار الغربي .

منذ حرب حزيران والمسؤولون عن الاعلام الصهيوني يراقبون بقلق وحذر تحول اجزاء كبيرة من اليسار الغربي عن مواقفها التقليدية المؤازرة لاسرائيل . فقد اصبح هاجسهم على الاخص تيار معاداة الصهيونية وتأييد حركة المقاومة الفلسطينية الذي اخترق صفوف اليسار الجديد وسيطر عليه او كاد . فقد وضع هؤلاء المسؤولون كل ثقلهم لمواجهة هذا التيار بالذات بالاضافة الى تيارات اقل شمولا ظهرت في اوساط « الاشتراكيين الديمقراطيين » و « الليبراليين » . فقد كتبت مجلة « تيارات يهودية » الصادرة في نيويورك تقول بهذا الصدد « ان حق اسرائيل في البقاء كدولة يهودية ، حتى فيما بعد التوقيع على اتفاقية السلام مع جيرانها العرب ، اصبح خاضعا للتساؤل وللنفي من قبل جهات عديدة ومن ضمنها اوساط ومنشورات يسارية . فجريا وراء فتح التي تدعو الى امتصاص اسرائيل داخل فلسطين ديمقراطية وغير طائفية اصبح بعض الراديكاليين يعتقدون ان رغبة اليهود الاسرائيليين في العيش كشعب صاحب سيادة في دولتهم هو من قبيل التزمت القومي غير المعقول »(١).

واذا اردنا تلخيص المواضيع التي ركزت عليها الدعاية الصهيونية للرد على اعلام المقاومة ولمحاولة اعادة اليسار الغربي الى حظيرتها فيمكن وضعها ضمن اربع قضايا رئيسية هي : ١) قضية الدولة الديمقراطية الفلسطينية ٢) قضية علاقة اسرائيل بالامبريالية ٣) قضية عنصرية اسرائيل ٤) قضية تقدمية حركة المقاومة .

الدولة الديمقراطية الفلسطينية

لقد ادى طرح المقاومة شعار اقامة الدولة الديمقراطية الفلسطينية الى اضطراب كبير في صفوف القائمين على الاعلام الصهيوني الذي كان سندهم الاكبر في الماضي اعتمادهم على فرضية « القاء اليهود في البحر » لكسب عطف الرأي العام العالمي . فكان لا بد لهم من مواجهة دعوة ليس فقط لا تطالب بالقاء اليهود في البحر — كما كانوا ينقلون عن لسان المتحدثين العرب في الماضي — بل تدعو بالعكس الى مبدأ المشاركة والى اعتبار غزاة الامس واليوم مواطني المستقبل في دولة واحدة لا طائفية ولا عنصرية. فقد ادركت الدعاية الصهيونية ان مشروع الدولة الديمقراطية سيلاقي ترحيبا لدى قطاعات واسعة غربية تقدمية وليبرالية تمرست وتربت على مبادىء معاداة العنصرية وفصل الدين عن الدولة وتعايش الاديان والاجناس فدأبت على مقاومة مفعوله بالاستناد الى منطلقين رئيسيين .

أول هذين المنطلقين كان التركيز على الادعاء بان المقاومة الفلسطينية لا تعني ما تقوله